المرأة والحرية

● لدى المرأة من الامكانيات الطبيعية ما يندر توفره عند الرجل ، فاذا اختص هو بخصلة العنف فقد اختصت هي بخصلة العطف ، واذا كان واجبه الكسب . فطبيعتها الارضاع ، واذا اعتز وتباهى بأنه والد ، فانها هي الوالدة ، واذا صعّر خده وشمخ بأنفه بأنه أب ، فيكفيها فخراً انها ام ، واذا امتاز بالقوة العضلية فقد امتازت بالقوة النفسية .

● في القرن السابع للميلاد تندى قطر من صحراء العقائد ، وأطلت الشريعة الاسلامية كالطل على المرأة وتعهدتها بالعناية والرعاية ، وما من نظام تحت السماء انصف المرأة وناصرها وحررها مثل النظام الاسلامي .

● لقد اعطيت المرأة في الاسلام من الحقوق والامتيازات ما يجعل المطالبة بالمساواة بينها وبين الرجل ، وهماً من الاوهام ، وفرضت على الرجل من الواجبات والاعباء ما يجعله هو في موقف لا يحسد عليه .

تعتبر مشكلة حرية المرأة من أخطر مشاكلنا الاجتماعية ، وتحتل حيزاً كبيراً من تفكير ساستنا وحكامنا وذوي الرأي فينـــا . ولا غرو في ذلك ، فالمرأة نصف الأمة ، ومن اهم العوامل الفعالة في بناء المجتمع وخدمة الانسانية .

ومن المؤسف ان يكون تاريخ الامة العربية في العصور القديمة قد عبس للمرأة ، وتولى عنها ولم يبتسم لها ، وانما حفلت تلكم العصور بامتهانها ، ودأبت على ظلمها ، وسارت على سنة إذلالها وعدم الاحتفاء بها ، شأن كل امة لا تزال في دور الطفولة.

المرأة الجاهلية

هذه المرأة ، التي تشغل اليوم نصف العالم ، وتملك ناصية التاريخ ، كانت في العصور القديمة للامة العربية ، سقطاً من المتاع ، ولوناً من ألوان الزينة ، ونوعـــاً جديداً من أليف الحيوان . ولم يعترف العرب الاولون لها بأبده صفاتها : صفـــة الانسانية .. فاشتركوا في الزوجات مثلما كانوا يشتركون في الاموال والمتاع، حسبما روى الجغرافي اليوناني (سترابون) .

واوضح دليل على ذلك ، بقاء بعض التقاليد الشاذة في الزواج عندهم ، حتى ظهور الاسلام ، كزواج الرهط : وهو ان يتزوج رجال عديدون امرأة واحدة . وزواج الاستبضاع: وهو ان يدفع الرجل زوجته الى عظيم او امير ليستولدها رغبة في نجابة الولد . ونكاح السفاح: وهو الزنى المعروف . ونكاح البـــدل: وهو ان يستبدل كل من الرجلين حليلته بحليلة الآخر ... الى غير ذلك من الانكحة الشاذة الفاسدة ، مما يعتبر دليلا واضحاً على ظلامية الحياة الاولى عند العرب .

ثم دار الفلك دورته ، ومشت الايام خطواتها ، وقام العرب بنهضة عظيمة ، تشبه نهضتهم في صدر الاسلام ــ مع الفارق ــ وسكبت ديمة هذه النهضة شآبيب الرحمة على المرأة ، وتلفتت الامة العربيـــة على تلكم الزهرة الممتهنة ، وتنسمت عبيرها ومدت اليها يد العناية ، لا يد الاستعباد ، ولحظتها بعين الرعاية لا بعين السخط ، وأصاب المرأة العربية من هذه النهضة نصيب وفير .

المرأة والشرائع القديمة

منذ نيف وأربعة آلاف سنة ، قبل ميلاد السيد المسيح، جاءت شريعة حمورابي العربي، وهو الذي يعتبر في نظر فقهاء القرن العشرين أول المشترعين. جاءت ومنحت المرأة العربية رغم اعترافها بسيادة الرجل كثيراً من الحقوق، واسبغت عليها وابلا من النعم لم تكن تتوفر لها من قبل ، إذ حددت سلطة الرجل العائلية في الاحوال الشخصية ، وعاملت المرأة بشيء من العدل والرحمة في باقي الحقوق العامة : فأباحت لها مزاولة الشؤون التجارية والاعمال الزراعية ، والانتظام في سلك الكهانة ، فضلا عن اشغالها المنزلية .

كيف تساوي المرأة الرجل ؟

وهكذا أضحت المرأة في هذه الناحية نداً للرجل ، ومساوية له تقريباً .

ولا غرابة في ذلك ، فهي نصف الامة ، ولديها من الامكانيات الطبيعية ، ما يندر توفره عند الرجل ، فاذا اختص الرجل بخصلة العنف ، فقد اختصت المرأة بخصلة العطف ، واذا كان واجبه الكسب ، فطبيعتها الارضاع ، واذا اعتز وتباهى بأنه والد ، فانها هي الوالدة ، واذا صعّر خده وشمخ بأنفه بأنه أب ، فيكفيها فخراً انها أم ، واذا امتاز بالقوة العضلية فقد امتازت بالقوة النفسية .

هذا ما تسلحت به المرأة العربية . وما مكّنها يومذاك من مشاركة الرجل في الحقلين المادي والاجتماعي ، بل زاحمته في الميدان السياسي وزحزحته عن أرائك الحكم .

والتاريخ اعدل شاهد واصدق راوية . فقبل ميلاد السيد المسيح ببضعة قرون تلقى شلمنصر الثاني الولاء والاحترام من ملكتين عربيتين ، ونصب اسر حدون

على احد العروش اميرة عربية ، والسطر الذهبي الذي سجل في تاريخ اليمن ، انما سطرته يد امرأة ، والسعادة التي رفلت بها الارض السعيدة انما هي من صنع امرأة ، انها بلقيس التي ورثت عن ابيها عرش اليمن لثلاثين عاماً تقريباً قبل المسيح ، وكانت مثال الحاكم العادل النزيه ، احسنت في الادارة اشد الاحسان وابدعت في التنظيم ما شاء الابداع ، ووطدت دعائم امرها ، ورئقت عرى ملكها ، وخلفت وراءها كثيراً من الرجال في الميادين التي يزعمون انها وقف عليهم وملك لهم ، ووصفها الهدهد لسليمان حسبما ورد في القرآن : (فقال احطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين . اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) .

وكان في ركابها حينما سارت الى سليمان مائة الف من الفرسان ، وكان من امرها معه ، ما سجله التاريخ وايدته السماء . فقد استبدلت بدين ابيها دين الله ، وقوضت في البلاد عمد الفوضى ، واقامت بنيان النظام وظللتها بظل من الأمن والسلام .

ومع ذلك لم تنفرد بلقيس في موكب الفخار ، ولم تتسنم وحدها القمة بين النساء العربيات ، بل شاركتها في ذلك ملكة عربية اخرى لها عظمتها وقدرها ، تلك هي زنوبيا ملكة تدمر ، التي عوزها صلابة الرأي ولا مضاء العزيمة ، ولم تنقصها قوة البأس ولا متانة الشكيمة ، بل قامت تثبت للتاريخ ان المرأة التي تهز بيمناها سرير الطفل ، تستطيع ان تهز بيسراها العروش والممالك ، انتضت زنوبيا البرهان نفسه الذي يظن الرجل به نفسه فوق المرأة ، انتضت السلاح وأخضعت كثيراً من الممالك ، واقتحمت كثيراً من البلاد ، واقتحمت كثيراً من المعاقل .

ولكن سرعان ما تبدلت الاحوال ، فبعد ان تبوأت المرأة العربية مكاناً باذخاً ، وبلغت عزاً شامخاً في ايام العرب البائدة من عمالقة العراق ، وفراعنة مصر ، وعاد وثمود في اليمن ، انقلبت الى ما بدأت به من البداوة والجهل ، وخنست عن مكانها الرفيع الى ما كانت عليه من الذل والضعة ، وحيل بينها وبين اهدافها ، وقلبت لها الايام ظهر المجن ، فغلبت على امرها ، وتحكم الرجال بها وتخيلوها متعة للرجل ، وزعموها

دمية من دمى اللهو ، أو وسيلة من وسائل التسلية ، وليت غيهم وقف عند ذلك ، وليت طغيانهم لم يتجاوز حده ، فانهم تجرأوا على الله تعالى وسلبوا المرأة انسانيتها ، بل سلبوها الحياة ، وفي هذا يقول مناظر امرىء القيس معبراً عن شعور قومه ، مفصحاً عن وجهة نظرهم :

فإن تسألوني بالنساء فانني ... بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ شباب عندهن عجيب

كره البنات

ولمنزلة المرأة الوضيعة ، كانوا في الجاهلية يمتعضون من ولادة البنات بل كانوا يستترون اذا ولدت لهم بنت ، حياء من القوم ، كأنهم ارتكبوا عاراً او اقترفوا جريمة ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم بقوله :

(واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به . أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون!)

الحجاب

اما الحجاب بمعنى ستر الوجه ـ فقد كان قائماً عند كثير من قبائل العرب في الجاهلية ، واخبارهم تؤيد وجوبه ، واشعارهم لم تخل من التصريح بوجوده ، وفي ذلك يقول الربيع بن زياد العبسي في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه ... يلطمن أوجههن بالاسحار

قد كنّ يخبئن الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للانظار
يضربن حرّ وجوههن على فتى عف الشمائل طيب الاخبار

على ان الرجال كانوا يتعففون عن مغازلة النساء ، فلا يحاولون متى خرجن ان يتبعوهن بأنظارهم ، بل كانوا يفاخرون بغض النظر عنهن ، ولمثل هـذه الحالة اشار عنترة بقوله :

واغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

تعدد الزوجات

اما من حيث تعدد الزوجات في الجاهلية ، فلم يكن عند العرب حد محدود في التزوج . وقد يتزوج الرجل امرأة ابيه بعد طلاقها او موت ابيه ، وممن فعل ذلك عمر ابن امية بن شمس ، ولما كان الزواج عندهم سهلا لكثرة انواعه ، فقـد كان الطلاق مثله في السهولة ، ولكن على غير حد وبدون نظام يكفل حق المرأة ، بل كان الرجل يضارها في الطلاق ما شاء له ان يضارها واذا مات لم يكن لها نصيب الارث ، وكيف ترث وهي في نظرهم من جملة المتروكات . وكان كل ما يصنعه الرجل بها ، انها ان كانت جميلة تزوجهـا ، وان كانت غير ذلك حبسهـا حتى تموت فيرثها .

هذه هي حال المرأة الجاهلية ، مبتذلة ممتهنة ، لا يقام لها وزن ولا يعترف لها بحق ، كانت تشترى وتباع كالسلعة والمتاع ؛ وكانت تورّث ولا ترث ، وتُملك ولا تَملك ، كما كانت مرهقة بظلم الرجل ينتقص من انسانيتها ، ويتصرف باموالها وممتلكاتها .

واختلف الناس ايام الجاهلية فيما اذا كانت المرأة انساناً او غير انسان ، وفي كونها تلقن الدين ، وتصح منها العبادة ام لا ، وفي كونها تدخل الجنة وملكوت السماء ام لا ، ولم يكن هذا حالها عند العرب في جاهليتهم فقط ؛ بل كان كذلك في اوروبة

يوم كانت اوروبة تعيش في ظلام دامس، ويوم قرر احد المجامع بروما ان المرأة مخلوق شرير يجب ان يعامل معاملة الحيوان . ولعل فرنسا هي اول دولة في العالم ايام الجاهلية ، عملت على انصاف المرأة ، حيث قررت بعد ولادة محمد وقبيل بعثته ان المرأة انسان ، الا انها خلقت لخدمة الرجل .

انقاذ المرأة :

وفي وسط هذا النظام الجاهلي المليء بالمآسي المضطرب النظام ، تلفتت المرأة العربية التي هاضها الالم ، وبهظها الاضطهاد واثخنها الذل ، الى ما يحقق كامل انسانيتها او يقيلها من عثرتها ويتبنى فكرة مساواتها ، فاذا بمحمد بن عبد الله ترسله القدرة الى هذا العالم المضطرب ، ليحد من طغيانه ، ويخفف من غلوائه وهيجانه ، فقرر للمرأة على الفور ، كامل انسانيتها وحريتها ، وساواها بالرجل في النفس والجاه والكرامة ، وبذلك رفع عنها تلك الآصار ، وحررها من قيود الذل والاستكانة والهوان ، ونزل قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا) .

معطيات الاسلام للمرأة :

كفل الاسلام للمرأة العربية حرية التصرف ، واباح لها ان تملك العقار المنقول ، وان تهب وتشتري وتبيع ، وان توصي وتقاضي كما تريد ، على حين ان الدول الكبرى وصاحبات الدعوة الى حرية الشعوب ، لم تتوصل الى ما وصل اليه الاسلام فيما يتعلق بحقوق المرأة وانصافها الا في مستهل القرن العشرين .

اعطى الاسلام المرأة كل الحقوق التي اعطاها للرجل ، مدنية كانت ام سياسية فلها حق العمل بمزاولة كل مهنة شريفة تعجبها ، ولها حق الانتخاب ، والتمثيل النيابي والبلدي والاداري ولها ان تتولى مناصب القضاء .

نساء مسلمات :

ففي عصر العباسيين تبوأت شجرة الدر عرش مصر ، وكانت ام المقتدر رئيسة لمحكمة الاستئناف ببغـــداد . وقصة ام المقتدر قصة المرأة الطموح التي اولدتهـــا الاقدار ملكاً على عرش بغـــداد ، وكان التاج على رأس وليدها بيد ان السلطة كانت طوع يدها ، وتاريخ هـــذه الام الملكة هو تاريخ المرأة المكافحـــة ، التي حاربت بطانة الشر باعمال الخير ، وحاشية السوء بمكر الداهية ، وثبتت الملك تحت قدمي طفل ، ما عرف عرش بغـــداد اشد هواناً منه ، مدة خمس وعشرين سنة . فضلا عن ركاكته واسفافه ، وفضلا عن مجونه وعبثه ، وفضلا عن خفته وهزاله .

ولقد سطرت هذه المرأة مع الزمن قصة الطيبة والدهاء، والغدر والوفاء، وقصة السياسة في احلك لياليها واظلم عهودها .. عهد المقتدر .

ام المقتدر ! وما ادراك ما ام المقتدر؟ انها جاريـــة من ذوات الدل والجمال، ومن اولئك اللواتي تجتمع لهن رجاحة العقل وصباحة الوجه ، ويدخلن التاريخ من قصور العظماء . فيهن ظرف وكمـــال ، يقرضن الشعر ويروين الطرائف ، ضالعات بالآداب عالمـــات بالقوانين ، يجمعن الى طريف الخبر معسول القول ، ويضفن الى ذلك درايـــة باصول الطرب وسحر الغناء .

أم المقتدر .. واي خليفة ؟ انه الصبي المقتدر ؛ لها في كل امر شأن، ولها في كل قضية حكم وميزان، ترعى الامور صغائرها وجلائلها ، واي غرابة في ذلك ، فالخليفة نفسه صغيرها ووليدها ، ترفع من تشاء وتضع من تشاء من امور هذه الدولة البعيدة الاطراف .

باشارة من بنانها المخضب ، او رنوة من طرفها الكحيل ، ينعزل والٍ من الولاة ، وينصّب قاضٍ من القضاة ، ويقوم قائم بغداد ويقعد قاعدها اذا رغبت السيدة (شغب) ام المقتدر .

من ذا الذي يعتصم به المغضوب عليهم من الامراء ، ويؤوبون اليه ويرومون

جواره، ويرجون شفاعته؟ انها ام المقتدر، ومن لقلوب الملوك - وهي كالبارود سريعة الغضب، شديدة اللهب - من الذي يطفىء لهيبها، ويكبت سخطها؟ انها ام المقتدر.

العدل والفوضى امران لا يستويان، غير ان ام المقتدر وقرت العدالة في الفوضاء، ونشرت السلام في ارض البغضاء، واستوت في كرسي القضاء، وفصلت الخصومات، وازالت العداوات، فكان لها مجلس في كل يوم جمعة، تنظر فيه امور الناس، وحولها الفقهاء والعلماء والقضاة والكبراء، تدهشهم جرأتها، ويأخذهم علمها وفضلها، ويعجبون لبعد نظرها، وصدق حكمها، وسعة افقها.

وعلى كثرة كتب التاريخ وحدة ألسنة المؤرخين، لم يقل واحد منهم ان أم المقتدر حكمت فظلمت، ولا سطر احدهم انها قضت بغير حق، بل صمتوا امامها صمت ابي الهول، وسكتوا سكوت الليل، وما من قوة اخرستهم والجمت السنتهم الا الحق. فاكتفوا بالقول: ان ام المقتدر امرت ونهت؛ وتسنمت مركز القضاء تحكم بين الناس، وتقضي في خلافاتهم، وترقع العقاب وتفرض الحلول.

المرأة ومجالس العلم:

منح الاسلام المرأة حق الارشاد وحرية التعليم، وخصها بمزيد من العناية والاهتمام، وسوّى في ذلك بينها وبين الرجل حيث ورد (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وورد ايضا (اطلبوا العلم ولو في الصين) والصين اذ ذاك وطن مشرك ملحد، فليس معنى طلب العلم فيها تعلم الحديث والتفسير والتوحيد والتجويد، والفقه واصوله، وانما معنى الحديث تعلم كل فن ضروري للحياة ونافع، وتقصي المعرفة مهما بعدت منابعها.

وبذلك بلغت المرأة العربية في ظل الاسلام درجة اجتماعية رفيعة دونها مراتب النساء جميعاً، في انحاء العالم المعروف آنذاك، حيث لم يجد العلماء اي حرج في السعي الى امرأة لسؤالها عن حكم او فائدة، فهذه عائشة زوج النبي كان رسول الله ﷺ يقول في حقها: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء).

وهذه زبيدة زوج الرشيد ، وسكينة بنت الحسين ، وشهدة فخر النساء ، وبوران حرم المأمون ، وقطر الندى امرأة المعتضد ، وكثيرات غيرهن من فضليات السيدات كن يجلسن مجالس العلم والادب والمناظرة والمساجلة ، ويحكمن بين الشعراء والعلماء والخطباء .

المرأة والقتال :

اما في علم الحرب والجندية ، فقد ضربت المرأة العربية في صدر الاسلام المثل الاعلى في الاستشهاد في سبيل العقيدة ونصرة الحق واعلاء كلمة الله ، ومن هاتيك النساء العربيات اللائي ابلين في الجهاد والانتصار على الاعداء عائشة زوج النبي ﷺ ، واسماء بنت ابي بكر ، وحسانة النميرية ، ورابعة العدوية ، والخنساء . تلك المرأة التي شهدت وقعة القادسية مع بنيها الاربعة ، وخطبتهم تحضهم على القتال بخطبتها المشهورة المعروفة ، ولما بلغها نعيهم جميعاً رفعت يديها الى السماء متضرعة قائلة (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، واسأل الله ان يجمعني معهم في مستقر رحمته).

ولعل اعظم ما يجب الانتباه اليه ، ان المرأة العربية في عصر العباسيين كانت تتلون بلون مغاير لما كان قبلا ؛ بسبب دخول عنصر جديد على الحياة الاجتماعية العربية هو الموالي . وتتميز تلكم الفترة بازدياد الاهتمام بالأدب والشعر والغناء والموسيقى ، ونتيجة لذلك ، فقد تغلب الجانب الفني على حياة المرأة العربية ، وصادف ذلك هوى ورغبة في نفوس الخلفاء والامراء ، الذين امتلأت قصورهم بالجواري والاماء ، من كل صاحبة صوت وناظمة شعر أو قارعة دف ، أو ضاربة بوتر .

على انه مما يدعو الى الاعجاب ايضاً ، ان المرأة العربية في العصور الاسلامية الزاهرة ، لم تقتصر على تعلم العلم وتعليمه للمبتدئين فحسب ، وانما زحفت الى مركز الاستاذية حيث جلس امامها شيوخ كبار ، يلتمسون الاستماع اليها أو القراءة عليها او الاجازة منها ، واستمرت حركة التحرر في البلاد العربية سائرة على غاية من الدقة والانتظام ، حتى حلّ بالشرق الأدنى ما عكر صفوه ، وقلب من جديد

اوضاعه ، وانتهى الامر الى العثمانيين الذين كانوا اكثر ميلا الى الحياة العسكرية منهم الى الحياة المدنية المرفهة .

وعندئذ اختفى ويا للأسف على ايديهم ما نما وترعرع على ايدي سابقيهم ، فارتدت المرأة العربية على اعقابهـــا ، ورجعت القهقهرى الى عصور الظلام ، واحتجبت نهائياً عن المجتمع ، واقتصر نشاطها على كونها اماً وزوجة وربة بيت وحُرمت من مشاركة الرجل نشاطه في مضمار الحياة الى ان ظهر عامل جديد في الميدان ، تأثر الشرق به .. ذلكم هو النهضة الاوربية الحديثة .

اوضاع المرأة الحديثة :

هذا عرض موجز جداً لوضع المرأة العربية في التاريخ والاطوار المتناقضة التي مرت بها عبر العصو

ومما تقدم يتبين لنا ان الا ـد توصل منذ زمن بعيد الى ما يطالب به المجددون اليوم ، وهو تحرير المرأة وتحقيق المساواة الفعلية بينها وبين الرجل لأنهما شريكان في الانسانية . وكلمة الانسانية مأخوذة منهما جميعاً . واذا كانت المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات ميزة ظاهرة تطبع العصر الحديث في البلدان المتمدنة التي تستمد لغاتها لفظ الانسانية من الرجال وحدهم دون النساء حيث يقال مثـــلا : (Humanité) مأخوذة من (Homme) وهو الرجل. فقد سبق الاسلام كافة المبادىء وحقق المساواة بين ابنائه الذين تستمد لغتهم لفظ الانسانية من كلمـــة انسان ، ألا وهو مجموع الرجل والمرأة ،

واجب الدول العربية

واذا كان الناس لا يريدون تطبيق نظم الاسلام لغيرة او لغرور ، فخليق بهم

ان ينهجوا شرعة الامم المتحدة التي تقرر المساواة بين الجنسين، حيث تصرح المادة الاولى من مبادىء وأهداف هيئة الامم المتحدة في « سان فرنسيسكو » بانها تعمل على اشاعة وتشجيع الحقوق البشرية، والحريات الاساسية لكافة الناس دون ما تميز بين الاجناس واللغات والاديان او تفريق بين الرجال والنساء ، وحسبما تنص المادة الثامنة من هذه المبادىء (بان المنظمة لا تفرض اي قيد يحد من دخول الرجال والنساء ضمن شروط متساوية في جميع الوظائف رئيسية كانت ام ثانوية) .

نحن المسلمين من انصار المساواة الحقيقية ، لا الوهمية ونحن ندعو ونعمل من اجل تحطيم القيود التي تكبل المرأة ورفع السدود التي تحول دون دخولها الحياة العامة . ونحن واثقون انه لن يأتي اليوم الذي تصبح الأمة العربية فيه سيدة نفسها واثقة من مستقبلها ، آمنة على كافة حقوقها ومصالحها الا حين تصبح المرأة العربية بالذات ، عضواً صالحاً في المجتمع ، وتستقل فكراً وعملا ونزعة. وتشعر انها انسان لها حقوق الانسان ، وتعمل وتجد وتصبح مواطناً سعيداً منتجاً حراً بكل معنى الكلمة .

ماذا نريد للمرأة :

الكلام في حقوق المرأة حديث جديد في المدنية ، واذا كانت المرأة العربية في ظل الاسلام قد حصلت منذ خمسة عشر قرنا تقريباً على كثير من الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في اوائل القرن العشرين ،فان المرأة العربية اليوم لم تستفد من احكام الاسلام شيئا، وواقعها واقع لا تحسد عليه ابداً لان اولي الامر وكثيراً ممن ينتسبون الى الدين الاسلامي ظنوا ان الاسلام ظلم المرأة وسلبها حقوقها ، مع العلم بأن الاسلام اعطاها من الحقوق،وفرض على الرجل من الواجبات ؛ ما يجعله هو في موقف لا يحسد عليه ،وما جعل بعض الظرفاء يطالبون للرجل بمساواته مع المرأة لما لها عليه من امتيازات .

ميراث المرأة :

في القرن السابع للميـــلاد تندّى قطر في صحراء العقائد ، وظهرت الطمأنينة والسعادة في ضوضاء العرب ، واطلت الشريعة الاسلامية كالطل على المرأة المسكينة وتعهدتها بالرعاية والعناية، ولم تبخل عليها بالعناية، وجعلت لكل من الذكر والانثى نصيباً معلوما من ارث المتوفي (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب) . هذا هو الحق المعلوم الذي تفرضه البنوة على الابوة ونعمة الخير القائمة الاثر بين المولود والوالد ، والذكرى لاتموت بين الولدان في مراحهم وقصورهم ، والآباء في رموسهم وقبورهم ، وهذا النصيب القائم لا يتواضع أو ينكمش ان تواضع الوارث وصغر ، ولا يتضخم ويطغى ان عظم الوارث او كبر ، لا لشيء الا لانه حق ، وسيان في ذلك حق الامير والحقير ، وحق الكبير والصغير وحق الوزير والخفير ، وما ذلك الا طاعـة للقسمة الربانية (فريضة من الله وكان الله عليما حكيما) ،

اقام الاسلام للارث قواعد لاتحيد وما على الناقد البصير والباحث العدل ، الا ان يلحظ المزايا العظيمة للميراث في الاسلام ، والتي تنطوي عليها مصالح العباد او يتم بها نظام الحياة .

ألم تهاجم الاشتراكيـة على اختلاف اقسامها وكثرة وجوههـا ـ وابرزها اشتراكية سان سيمون ـ النظام الارثي الذي اثبته الاسلام ؟ الم يجحد القانون اليوناني والروماني حق القرابة وجاء الاسلام فأثبته ؟ ثم ألم يكن نظامه المتبع في التوزيع والتركة حسب السهام، ووضع الانصبة، فتحاً في عالم التنظيم والابداع تفرّد به دون سواه من الشرائع والقوانين تلـكم الشرائع التي كانت تفرق ... بين الارشد وغير الأرشد في ميراث الذكور ، وجاء الاسلام فسوّى وعدل ، والتي كانت تميز بين البكر وغيره وجاء الاسلام فقوّم واقسط ؟

وجهاً لوجه مع المتهجمين :

وان الاسلام لايساوي المرأة بالرجل فقط بل يرفعها ويدنيه ، ويسعدها ويشقيه ، وما من امة تحت السماء انصفت المرأة وناصرت المرأة ، وقررت حقوق المرأة ، وحررت المرأة ، مثل الامة العربية .

وفي ذلك يقول فون كرومر (إن العرب كانوا مفطورين على احترام النساء ، ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم) .

واذا كانت ارادة الله قضت علينا اليوم ان نصبح في مؤخرة الشعوب ، بعد ما كنا في مقدمتها ، نتيجة جمودنا وتخاذلنا ، فانه يجب علينا ان نعمد في ثنايا هذا الظلام الدامس الى نشر ما فطرنا عليه ، من احترام النساء ، وان نؤمن بأن التاريخ يجب ان يعيد سيرته ، وان الديموقراطية يجب ان تسود ، وان المرأة العربية يجب ان تتحرر ، وان المبادىء الانسانية يجب ان تعم وتنتشر (١) .

---

(١) راجع مؤلفات الاستاذ محمد جميل بيهم حول المرأة .

obeikandl.com